

# العقل عند الزمخشري في تفسير الكشّاف

Irfan Fahrizal  
STAI H. Agus Salim, Cikarang  
irfanfahrizal303@gmail.com

## تمهيد

إن الحديث حول العلاقة بين العقل والوحي هو موضوع الحوار الذي لم يتم بحثه منذ الزمن الماضي إلى يومنا الآن. فالإنسان هو المخلوق العاقل الذي كرمه الله سبحانه وتعالى وأولاه عنايته خوّله كثيرا من نعمه وليكون خاشيا وخاشعا لله سبحانه وتعالى وقد نزل القرآن الكريم يخاطب عقله وفكره ووجوده وقال جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة العقل هو ملحة الغالية للحياة البشرية، والتمييز بين الإنسان والحيوان، كما وجد في المنطق أن الإنسان حيوان ناطق وأيضا أن العقل يحكي كل شئ في القلب، إن مذهب المعتزلة لديها المنهج الذي يقدم العقل على الوحي من الله تعالى. أما بالنسبة الماتوريديّة لمنهج يهني التوسط بين العقل والنقل. لذلك يمكن قبول العقل في المسائل المتصلة بالألوهية النبوة. و أما الأمور المتعلقة باليوم الآخر جعلوا مصدر التقي فيها هو السمع أي السمعيّات. ومن المفسرين الذي يبحث في العقل هو الزمخشري، وهو عالم في مجال المذهب النفي في الفقه والمذاهب العقلان في العقيدة. يؤولو الآيات من أفاضل الفئة الناجية العدلية. وإنه مؤلف التفسير المشهورة الرهيب

يعنى تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وحيون الأفاويل في وجوه التأويل.

ومن خلال هذا البحث أن حقيقة العقل عند الزمخشري في تفسير الكشاف هو ما ينظره الناس يعيون فهمهم ويعتبرون الآيات التي خلقها الله وهي دلالة عظيمة القدرة وباهرة الحكمة. ومن هذه الحكمة من الله تعالى رأى الزمخشري بقدرة العقل حيث أنها تتألف من أربع مسائل، وهي: معرفة الله، معرفة وجوب الشكر إليه، ومعرفة الحسن والقبح، ومعرفة وجوب اعتناق الحسن واجتناب القبيح أو التحسين و التقييح. وأما أعمال العقل هي التدبر، والتفكر، والتذكر، والنظر، الفقه، وفوائدها حفز الإنسان بتفكير النفس، والتفكير البيئية، والتفكير الآيات الكونية. ولكنه محصور مما يتعلق بالروح والساعة والجنة والنار والموت. ومعرفة العقل يقدر على نظر العلاقة بين العلوم والتقوى وعلاقة متينة بأن الناس يقدرون على النظر بعقلهم عن يوم البعث لأن الله تعالى أمرنا واجب الإقرار بيوم القيامة.

### الكلمات المفتاحية: العقل، الزمخشري، تفسير الكشاف

#### المقدمة

إن الإنسان هو المخلوق العاقل الذي كرمه الله وأولاه عنايته ورعايته وخوله كثيرا من نعمه وأن يكون خشية وخشوعا لله وقد نزل القرآن يخاطب عقله وفكره ووجدانه<sup>1</sup>. العقل هو ملحة الغالية للحياة

١. السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، (بيروت - لبنان: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٢)، ص. ٧٧.

البشرية، والتمييز بين الإنسان والحيوان، كما وجد في المنطق إن الإنسان حيوان ناطق وأيضاً أن العقل يحكى كل شئ في القلب.<sup>2</sup>

في العالم يوناني القدي وجد أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) في البحث ويعمل فكره ويقدم المثل، بها يحاول أن يوفق بين العقل والحس أو يجمع بين الثنائية المتناقضة. أما أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) فقد وجد الحال في هذه الأشكال وخرج بالقوة والفعل، والهيوولي والصورة.<sup>3</sup>

أما وجه آخر البحث في العقل وجد الفلاسفة المسلمون، كان كلهم يتحدث بمصدر القرآن الكريم، بعضه الكندي، الذي ينص على أن النفس لها القوى الثلاث، ألا هوي القوة الشهوانية، القوة الغضبية، والقوة العاقلة. القوة الثالثة تسمى بالعقل. والعقل عند الكندي للحصول على اعتباره كان مقسم إلى ثلاثة أجزاء: الأول، العقل الذي بالقوة. والثاني، العقل الذي خرج من القوة إلى الفعل. والثالث، العقل الذي نسميه الثاني أي العقل الذي وصل إلى الجزء الثاني.

كان المتكلمون والصوفية أيضاً يبحثون في العقل في مجالات تخصصهم، وأحياناً على الرغم أن هناك خصائص واختلافات كبيرة بين المتكلمين والصوفية. أنها تتوفر مستويات العقل، ويحل حقيقة العقل مع أنواعه. وفي علم الكلام كان الماتريدية فقد حاولوا أن يتوسطوا في منهجهم بين العقل والنقل، فجعلوا العقل مصدر التلقي فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات.

---

٢. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، ص ٢٠.  
٣. عصام الدين محمد علي، صحوه العقل مع تاريخ المذاهب الفلسفة، (الإسكندرية: منشأة الناشر المعارف بالاسكندرية، دون السنة)، ص ٩.

وأما الأمور المتعلقة باليوم الآخر جعلو مصدر التلقي فيها هو السمع أي السمعيات.<sup>4</sup>

في دين الإسلام الحنيف كان الفلاسفة المسلمون، والمتكلمون، والصوفية يرجعون إلى المرجع الرئيسي يعنى القرآن. لأن الآيات القرآن تقول كثيرا عن شكل "فعل" للعقل.

في تفسير الكشاف للزمخشري اختلاف في آرائه من جهة اللغة. حتى ليس له جوزة بسبب شغله لطلب العلم. يختار الباحث هذا البحث لرفع من المفسر المعتزلي، لأن هذه البحث لم يبحث الباحثون من قبل عن الزمخشري خصوصا في العقل.

يوجد كتابان من تفاسير المعتزلة بالرأي. الأول، تنزيه القرآن عن المطاعن: للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة 415 هـ ، يبدأ بمذهب الإمام الشافعي ثم انصرف إلى الكلام بعد أن وجد على حد قول قلة عليه لأن صاحبه لا يجني منه ثمرة دنوية.<sup>5</sup> الثاني، الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري المتوفى سنة 538 هـ.<sup>6</sup>

تفسير الكشاف أهم كتب التفسير بالرأي للمعتزلة. بسبب البحث من جهة اللغة لذلك الفهم من نعاني المفردات أخص على الشاعر والأمثال. مع أنّ فخر الدين الرازي ينتقد الزمخشري في الآية "يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، فكيف اجترأه على كتابة ذلك الكلام لله المجيد.

4. أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبي الحربي، الماتريدية دراسة وتقيما، (رياض: دار العاصمة، دون السنة)، ص. 53.

5. القاضي عبد الجبار، الشرح الأصول الخمسة، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2001)، ص. 8.

6. محمد حسن الذهبي، علم التفسير، (دون المدينة: دار المعارف)، ص. 67-68.

## تعارف العقل العامة

إذا نظرنا إلى كتاب التعريفات نجد فيها لفظ "عقل" معناه ما يعقل به حقائق الأشياء. قد عرفنا في تاريخ الجاهيلة أن العاقل اشتهر بجمية هو الذي يقدر على أن يجبس غضبة وعمل وحرسته، مع ذلك يقدر تحليل المسائل الموجودة.

قال ابن منظور العقل هو الحجر الونهي ضدّ الحمق، والجمع عقول. وفي حديث عمرو بن العاص: كادها بارئها أي أرادها بسوء، عقل - يعقل - عقلا - ومعقولا، وهو مصدر. وقال سبويه: صفة، وكان يقول إن المصدر لا يأتي على وزن مفعولة البتة، ويتأول المعقول فيقول: كأنه عقل له شئ أي حبس عليه عقله وأيد وشدد.

من معاني اللغة، كلمة "العقل" لها معاني كثيرة، من بين أمور أخرى، يعنى عقل الشئ: فهمه وتدبيره، وعقل فلان: عرف الخطأ الذي كان عليه، والعاقل: هو المدرك الحكيم الفاهم، والعقول: هو المدرك الفاهم للعقول.

### أ. قدرة العقل

ولقد عرفنا أن العقل قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان.<sup>7</sup> إن من بعض مشاكل الدين هو العقل، وكان العقل قضية ومشكلة شغلت أذهان العلماء في كل عصر، قديما وحديثا. وكثيرا من العلماء يختلف في وضعه واستعماله. علم الكلام كالعلم الذي يبحث في

٧. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: مكتبة المدرسة، دوم السنة)، الجزء الثاني، ص. ٨٤-٨٦

المسألة الإلهية ووجوب الإنسان إلى ربه باستخدام العقل والوحي  
لمعرفتهما.<sup>8</sup>

العقل عند الزمخشري في تفسيره الكشاف وجد الباحث في سورة  
الملك الآية 10 بمعنى التأمل، وأيضا في سورة البقرة في الآية 76 و 164  
بمعنى ما ينظر الناس بعيون فهمهم ويعتبرون لأن الآيات التي خلقها الله  
دلائل عظيمة القدرة وباهرة الحكمة.<sup>9</sup>

وجد الباحث في مسألة قدرة العقل عند الزمخشري في تفسيره  
الكشاف في سورة البقرة الآية 73 يعني فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا<sup>ج</sup>  
كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أنه

يوافق بكلام المعتزلة. "لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" هذه الآية عند الزمخشري هنا  
تعملون على قضية عقولهم، وأن من قدر على إحياء النفس واحدة قدر على  
إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث، وإما أن  
يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>10</sup>

إنّ قدرة العقل على القضية الرئيسية في الدين، يعني معرفة الله و  
الحسن والقبیح. فالأسئلة المتقدمة هي كما يلي:

١. هل يُقدّر العقل على معرفة الله؟

٢. فإن يُقدّر، هل يُقدّر العقل وجوب الشكر إلى الله؟

8. Harun Nasution, Teologi Islam Aliran-Aliran Sejarah Analisa Perbandingan, (Jakarta: UI-Press, 1986), p.79

٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الأول، (بيروت- لبنان: دار الفكر ١٤٢٧-١٤٢٦ هـ / ١٤٠٨ م)، الجزء الأول، ص. ٣٢٦

١٠. نفس المرجع، الجزء الأول، ص. ٢٨٩

٣. هل يُقدّر العقل على معرفة الحسن والقبح؟

٤. فإن يُقدّر، هل يعرف العقل وجوب اعتناق الحسن واجتناب القبيح أو التحسين والتقبيح.<sup>11</sup>

قال الشهرستاني في الملل والنحل عند أهل العدل أو المعتزلة المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم<sup>12</sup> واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبح.<sup>13</sup> والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل. واعتناق الحسن والقبح.<sup>14</sup>

من أربع مسائل سابقة إن الزمخشري في تفسيره الكشاف موافق

بالمعتزلة. معرفة الله يعني قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ

قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا

ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ

وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبِهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ

قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهْرُ.<sup>15</sup>

11. Harun Nasution, *Muhammad Abduh Dan Teologi Mu'tazilah*, (Jakarta: UI Press, 2006), p. 54-55

١٢. المنعم هو فاعل النعمة، كالكرم والمجمل والمحسن، فلا يزداد في تفسيره على هذا لأنه اسم مشتق من النعمة، كما أن المكرم والمحسن

مشتق من الإكرام والإحسان، انظر إلى شرح الأصول الخمسة، ص. ٤٥

١٣ الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، بتحقيق محمد سيد كيلاني، (قاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٧)، ص. ٤٢

١٤ الشهرستاني، نفس المرجع، ص. ٤٥

١٥ سورة الرعد، الآية: ١٦

فسّر الزمخشري في كتابه الكشاف حكاية لاعتراف الناس وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض؟ لم يكن لهم بدّ من أن يقولوا: الله، كقوله- قل من ربّ السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون: الله.<sup>16</sup>

وقال عبد الجبار، إن معرفة الله تعالى واجبة وأنها لا تحصل إلا بالنظر وأن النظر واجب وأنه أول الواجبات لما اقتضى أن تكون الدلالة بلفظ الوجوب وقد دل عليه بلفظ الحسن فقال: إن سائر الشرائع من قول وفعل لا يحسن إلا بعد معرفة الله تعالى.<sup>17</sup>

ومن هذا، أن العقل هو الغريزة التي خلق الله سبحانه وتعالى ثم وضع فيه التفكير المفيد للحياة البشرية. كما عرفنا أن العقل عند المعتزلة كاشف عن قدر الأفعال ومثبت لها. وهو الذي يحكم عليها بالقبح والحسن، لأنه عندهم جهة لحسنها أو لقبحها. ومن العبث أن نحاول إيجاد مقياس للحكم على الأفعال خارج حدود العقل، فتحديد معنى الحسن والقبح إنما يتم عقلا. فالعقل هو الذي يحتاج إليه لأن وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل.<sup>18</sup>

من آية أخرى وجد الباحث في تفسير الكشاف يقدر العقل على معرفة الله يعني أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

١٦ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٣٥٥

١٧ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)، ص. ٤٢

١٨ سميح دغيم، فلسفة القدر عند المعتزلة، (بيروت: دار الفكر للكتاب، ١٩٩٢)، ص. ٢٦٩



الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.<sup>19</sup> فسر الزمخشري (فيكون لهم قلوبهم) يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي.<sup>20</sup>

وسورة تتعلق أيضا بقدرة العقل يوجد في الآية **وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ<sup>ط</sup> وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴿٤٣﴾ **خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**  
21.

فمعى من (وما يعقلها إلا العالمون) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين المشرك والموحد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال: العالم من عقل عن الله فعل بطاعته واجتنب سخطه. (بالحق) أي بالعرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته، ألا ترى إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين)، ونحوه قوله تعالى - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا- ثم قال - ذلك ظن الذي كفروا- الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها.<sup>22</sup>

١٩ سورة الحج، الآية: ٤٦

٢٠ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ١٧

٢١ سورة العنكبوت، الآية: ٤٣-٤٤

٢٢ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٢٠٧

وأخذ الزمخشري أن يقدر العقل على معرفة الحسن في الآية

فَأَنْجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ.<sup>23</sup> فسر

الزمخشري بهذه الآية استهزاء (قدرناها) وقدرنا كونها (من الغابرين) كقوله -قدرنا إنها لمن الغابرين- فالتقدير واقع على الغبور في المعنى. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده.<sup>24</sup>

وأما يُقَدِّرُ العقل على معرفة القبيح بمفهوم القبيح هو ما إذا فعله القادر عليه استحق الذم.<sup>25</sup> وهو ينقسم إلى قسمين: ما تكون صغيرا، وإلى ما يكون كبيرا، وما يكون كبيرا ينقسم إلى: ما يكون كفرا، وإلى ما لا يكون كفرا.<sup>26</sup> ويرى الباحث بأن الزمخشري يعرف بأن أربع مسائل معروفة بقدره العقل، ويقدر على معرفة الواجبات بالتفكير العميق، والشكر إلى الله واجب قبل نزول الوحي، ووجب على العقل معرفة الحسن والقبح.

من جانب ذلك، فرأى الأشاعرة بأن العقل يقدر أن يعرف المسألة الواحدة السابقة، يعني معرفة الله. والواجبات كلها سمعية، والعقل لا يوجب شيئا، ولا يقضي تحسينا ولا تقبيحا، فمعرفة الله بالعقل تحصل.

٢٣ سورة النمل، الآية: ٥٧

٢٤ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ١٥٤

٢٥ القاضي عبد الجبار، المرجع السابق، ص. ١٧

٢٦ نفس المرجع، ص. ٢٢٢

وبالسمع تجب، قال الله تعالى **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**.<sup>27</sup>

وكذلك شكر المنعم، وإثابة المطيع، وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل، ولا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل، ولا الصلاح، ولا الأصلاح، ولا اللطف، وقول ما يقتضيه العقل من جهة الحكمة، فيقتضي نقيضه من وجه آخر.<sup>28</sup> هكذا ما رآه الأشاعرة فإن العقل يقدر على معرفة الله، والواجبات تعرف بعد نزول الوحي، والعقل لا يقدر على جعل الشيء واجبا كما لا يقدر على معرفة عمل الحسن والقبح واجب.

وأما الزمخشري في تفسير الآية **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ**

**رَسُولًا** وما صح مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن

نبعث إليهم رسولا فتلزمهم الحجة. فقال الزمخشري: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها بالتوفيق، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان.<sup>29</sup>

ف رأى الباحث أن الزمخشري يعطي القوة الكبيرة إلى العقل. وأما

الأشاعرة يعطي القوة القليلة إلى العقل لمعرفة الله بالعقل يحصل، وأما شكر المنعم، وإثابة المطيع، وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل.

٢٧ سورة الإسراء، الآية: ١٥

٢٨ الشهرستاني، المرجع السابق، ص. ١٠٢

٢٩ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٤٤١

## ب. أعمال العقل

إن الكلمة المستعملة في القرآن الكريم لتصوير أعمال الفكر، ليس فقط (عقل) ولكن أيضا فيما يلي:  
١. تدبّر (التفكر ومادته تدور حول أواخر الأمور وعواقبها)

قال جل شأنه **كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا**

**ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**<sup>30</sup> فسر الزمخشري بهذه الآية يعني التفكير فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن اقتنع بظاهر المتلو لم يجل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يجلها ومهرة نثور لا يستولدها.<sup>31</sup>

كما قال الله تعالى **أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ**

**قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**.<sup>32</sup> فسر الزمخشري بهذه الآية يعني ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي، ثم قال **أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** وأم بمعنى بل، وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر.<sup>33</sup> **أَفَلَا**

٣٠ سورة ص، الآية: ٢٩

٣١ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٣٧٢-٣٧٣

٣٢ سورة محمد، الآية: ٢٤

٣٣ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٥٣٦

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا.<sup>34</sup> ويرى الزمخشري بهذه الآية يعني تدبير الأمر

تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر مافيه.<sup>35</sup>

ومن الجملة السابقة ما يذكر الباحث، بأن التدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه ومن هنا يستطيع أن يفهم التدبر هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر الدلالات الكلم ومراميه البعيدة. وأهميته الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم بحر فائض من الخيرات ورية الرحمن للعالمين. والتدبر في القرآن كان سببا في تغيير حياة كثير من الناس وأولهم الصحابة الذين كانوا يسمعون القرآن. إنه ليس بقول البشر وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة حتى يدخل ذلك الرجل في الإسلام ويصبح من الصحابة الكرام.

## ٢. نظر (بمعنى الذكر)

إن الله تعالى ذكر الآية من أفعال العقل على من نظر قال الله

تعالى في الكتاب الكريم أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

٣٤ سورة النساء، الآية: ٨٢

٣٥ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٥٤٦

بَيْنَئِهَا وَزَيْنَئِهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا  
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

فسر الزمخشري تلك الآية: إن الحق القرآن، قيل الإخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) فتوق: يعني أنها منساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل.<sup>36</sup> وأما البيضاوي يفسر هذه الآية (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (إلى السماء فوقهم) إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق. (والأرض مددناها) بسطانها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج) أي من كل صنف (بهيج) حسن.<sup>37</sup>

والمفسر الآخر وهو الشوكاني يفسر تلك الآية (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) الاستفهام للتقريع والتوبيخ: أي كيف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم (كيف بنيناها) وحعلناها على هذه الصفة مرفوعة بغير عماد تعتمد عليه (وزيناها) بما جعلنا فيها من المصابيح (وما لها من فروج) أي فتوق وشقوق وصدوع وهو جمع فرج. (والأرض مددناه) أي بسطانها (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت وقد تقدم تفسير

٣٦ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص. ٤.

٣٧ ناصر الدين بن سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (بيروت:

دار الجيل، دون السنة)، ص. ٦٨٦.

هذا في سورة الرعد (وأثبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن.<sup>38</sup>

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٤٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٤٧﴾

سَخَّرَ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ<sup>39</sup> التفسير لهذه الآية بأن وجه اتصال به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يميل على حافظة إلا ما يسره في عاقبته، و(مم خلق) استفهام جوابه خلق (من ماء دافق) والدق صب فيه دفع، ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر، أو الإسناد المجازي، والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماعين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة.<sup>40</sup>

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧٧﴾ وَإِلَى

السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٧٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٧٩﴾

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ<sup>41</sup>

٣٨ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الجزء الخامس، (بيروت- لبنان: دار

المعرفة، ١٩٩٧)، ص. ٨٧

٣٩ سورة الطارق، الآية: ٥-٧

٤٠ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص. ٢٤١

٤١ سورة الغاشية، الآية: ١٧-٢٠

فسر الزمخشري بهذه الآية يعني نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالإثقال وجرحها إلى البلاد الشاطحة.<sup>42</sup> فرآى الباحث بأن كلمة النظر في القرآن الكريم المترادف من العقل يوجد فيه 130 آيات. والمعنى يتقرب بالعقل هو الذكر والتأمل، بمعنى إن الآيات الكونية في العالم لازم علينا أن ننظر بالذكر والتأمل ما خلق الله للناس.

٣. تفكر (معنى النظر والتفهم، أي من كلمة فكر معناه وجب كون المرء متفكرا والوحد منا يجد هذه الصفة من نفسه ويفصل بين أن يكون متفكرا وأجلي الأمور ما يجده الإنسان من نفسه)

وجد الباحث ١٧ آيات من أصل كلمة فكر في القرآن الكريم، على سبيل المثال قال الله تعالى **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**.<sup>43</sup>

فسر الزمخشري بهذه الآية يعني (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) ما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه.<sup>44</sup>

٤٢ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص. ٢٤٧

٤٣ سورة آل عمران، الآية: ١٩١

٤٤ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ٤٨٨



وفي آية أخرى قال الله تعالى وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ  
 اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ  
 كُلِي مِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا ۗ يَخْرُجُ مِنْ  
 بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ  
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. 45

لقد جاء ذكر التفكير في القرآن الكريم في سبع عشرة آية،  
 معنى التفكير: كلمة فيها معنى النظر والتفهم. وجد الباحث بأن التفكير  
 في القلب في خلق الله تعالى يقوي اليقين، يزيد الحشية من الله، الشوق  
 إليه.

٤. فقه (العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين وشرفه) 46

تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ  
 مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ  
 إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا 47

فسر الزمخشري بهذه الآية يعني (ولكن تفقهون تسبيحهم)  
 وهذا التسبيح مفقوه معلوم؟ قلت: الخطاب للمشركين، وهم وإن كانوا

٤٥ سورة النحل، الآية: ٦٨-٦٩

٤٦ الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ص. ٥١٣

٤٧ سورة الإسراء، الآية: ٤٤

إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه  
 آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقرّوا، لأن نتيجة النظر  
 الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا  
 التسييح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق.<sup>48</sup>

(ولكن لا تفقهون تسييحهم) فإنه لو كان المراد تسييح  
 الدلالة لكان أمراً مفهوماً لكل أحد وأجيب بأن المراد بقوله لا تفقهون  
 الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار وقالت طائفة: إن هذا العموم  
 مخصوص بالملائكة والثقلين دون الجمادات وقيل خاص بالأجسام  
 النامية فيدخل النباتات كما روي هذا القول عن عكرمة والحسن  
 وخص تسييح النباتات بوقت نموها لا بعد قطعها.<sup>49</sup>

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتٍ

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ

فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۗ<sup>50</sup>

فسر الزمخشري بهذه الآية يعني يفقهون بمعنى مع ذكر إنشاء  
 بني آدم، قال الزمخشري كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم

٤٨ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٤٥١

٤٩ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٢٨٩-٢٩٠

٥٠ سورة الأنعام، الآية: ٩٧-٩٨

بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذلك الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له.<sup>51</sup>

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.<sup>52</sup> المراد من (ليتفقهوا في الدين)

ليتكفوا الفقه فيهِ ويتجشمو المشاق في أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم، لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الحسيسة ويؤمنونه من المقاصد الركيكة، من التصدر والترؤس والتبسيط في البلاد.<sup>53</sup>

فراى الباحث أن الفقه في القرآن الكريم إنه وجد 20 آية،

بمعنى الفهم لتعميق الدين الإسلامي وأيضاً استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابق له. والزمخشري يفسر الآية عن الفقه بتكليف الإنسان عن الفقه فيهِ ويتجشمو المشاق في أخذها وتحصيلها.

٥١ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٣٩.

٥٢ سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

٥٣ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٢٢١.

٥. تذكر (بمعنى الحفظ، الحصول على الإنذار، ينال العلم، الاهتمام،  
التعلم)

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ  
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا

زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.<sup>54</sup> فسر الزمخشري بهذه الآية يعني عن

الحسن: السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر  
والموت والحياة، فعدد أشياء، وقال: كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد  
لامثل له (لعلكم تذكرون) أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش  
الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ<sup>55</sup>

غير أن في القرآن الكريم ذكر إعطاء صفة التفكير للمسلمين. فيما يلي:

- (١) أولو الألباب
- (٢) أولو العلم
- (٣) أولو الأبصار
- (٤) أولو النهي

٥٤ سورة الناريات، الآية: ٤٧-٤٩

٥٥ سورة الزمر، الآية: ٢٧

فرآى الباحث بأن التذكر: من ذكّر، وظاهر معناه يقابل النسيان، فالنسيان يخرج المعلوم من مساحة العلم، فلا يستطيع الإنسان أن يستعمله، تماما كأنه لا يعلمه، حتى إذا ذكره فدخل حوزة العلم، استطاع أن يستعمله ويوظفه. فهذا الاستحضار والاسترجاع إلى حيز المعلوم هو التذكر. والقرآن ذكر صفة التفكير للمسلمين أوّلو الأبواب، أوّلو العلم، وأوّلو الأبصار، وأوّلو النّهى.

### ج. حصر العقل

وقد شكّلت مسألة الألوهية والغيبيات قديماً وحديثاً أعظم مشكلة واجهت العقل البشري، لأنّ البشر أدخلوا هذه المسألة تحت نطاق العقل، وفرضوا أنّ للعقل قدرة في إدراكها ومعرفة حقائقها مجردة بالعقل دون مصدر آخر يبيّن لها سبيل التّعامل وإزالة اللبس الحاصل للعقل فيها، فاختلّفت الحلول وتباينت التّصورات العقلية لهذه القضية.

وجاء القرآن هُدى الله إلى العالمين، فشكّل حلقة الوصل بين السماء والأرض، وبيّن تصوير المعاني الغيبية وتصور المسلمين لها، وبين الإخبار عن الدّات الإلهية، وما يجب لها من صفات الكمال وحكمة الأفعال، وإيمان المسلمين بها وإذعانهم لها. فرآى الباحث بحصر العقل عند الزمخشري يتكون فيما يلي:

## ١. أن العقل لا يقدر أن يعرف الروح

ومن هذه الأمثلة التي تتجلى فيها هذه الحقيقة قول الله تعالى  
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا  
قَلِيلًا.<sup>56</sup> فسر الزمخشري بهذه الآية الأكثر على أن الروح الذي في  
الحيوان، سأله عن حقيقة فأخبر أنه من أمر الله: أي مما استأثر بعلمه.  
وعن ابن أبي بريدة: لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم  
الروح. وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل جبريل  
عليه والسلام، وقيل القرآن و (من أمر ربي) أي من وحيه وكلامه  
ليس من كلام البشر. وما (أوتيتم) الخطاب العام. وروي أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب  
أم أنت معنا فيه؟ فقال: بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً.<sup>57</sup>

## ٢. إن العقل لا يقدر أن يعرف المستقبل

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا  
فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا  
تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.<sup>58</sup>

فسر الزمخشري هذه الآية إن الله (عنده علم الساعة) أيان  
مرساها (وينزل الغيث) في إبانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا  
يتجاوزه به (ويعلم ما في الأرحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص؟ وكذلك

٥٦ سورة الإسراء، الآية: ٨٥

٥٧ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٤٦٤

٥٨ سورة لقمان، الآية: ٣٤

ما سوى ذلك من الأحوال (وما تدري نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر، وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً وعازمة على شر فعملت خيراً. (وما تدري نفس) أين تموت، وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبرها فيها، فترى بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها.<sup>59</sup>

### ٣. إن العقل لا يقدر أن يعرف الجنة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ.<sup>60</sup> فسر الزمخشري (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار (ولما يعلم الله) بمعنى: ولما تجاهدوا، لأن العلم متعلق بالعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتفع بانتفائه.<sup>61</sup>

### ٤. إن العقل لا يقدر أن يعرف النار

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.<sup>62</sup> رأى الزمخشري في هذه الآية يعني (والذين

٥٩ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٢٣٩

٦٠ سورة ال عمران، الآية: ١٤٢

٦١ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٤٦٦

٦٢ سورة البقرة، الآية: ٣٩

كفروا وكذبوا بآياتنا) في مقابلة قوله- فمن تبع هداء. فقال  
 الزمخشري: فلم جئ لكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه  
 قالت: للإيدان بأن الإيمان بالله بالتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسول  
 وإنزال الكتب، وإنه لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به  
 وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة  
 مكنهم من النظر والاستدلال.<sup>63</sup>

٥. إن العقل لا يقدر أن يعرف الموت

تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

وَتُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ.<sup>64</sup> فسر

الزمخشري يعني يوما لا جزى نفس عن نفس شيئا- بمعنى فيه (الحي  
 من الميت) الطائر من البيضة، و(الميت من الحي) البيضة من الطائر.  
 وإحياء الأرض وإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك  
 الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون، والمعنى: أن الإبداء والإعادة  
 متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج  
 العكس من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء وإماتة الحي.<sup>65</sup>

٦٣ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٢٧٥.

٦٤ سورة الروم، الآية: ١٩

٦٥ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٢١٧-٢١٨



٦. إن العقل لا يقدر أن يعرف الرزق

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ <sup>ط</sup> وَتُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ <sup>ط</sup> وَتَرزُقُ مَنْ

تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. <sup>66</sup> فسر الزمخشري يعني ذكر قدرة الباهرة

بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم وذلمهم ويؤتية العرب ويعزهم. <sup>67</sup>

والواضح أن الزمخشري يقارن في تقرير حد البلوغ بين عقل العاقل وعقل الصبي والمجنون من حيث أن الصبي والمجنون إنما لا يحسن أن يكلفنا الفعل لأنه لا يمكنهما معرفة ذلك الفعل على وجه يصح الإقدام عليه والتحرز منه. <sup>68</sup> يبدو أيضا أن تحديد العاقل يخضع لغائية بمعرفة حد البلوغ والتكليف. من هنا كان إصرارهم على اعتبار الملف هو العاقل الحاصل على علوم الجملة. فالعقل هو أحد شروط التمكين في التكليف حتلا يصح من المكلف الاقتدار على العلم الاستدلالي. <sup>69</sup>

٦٦ سورة ال عمران، الآية: ٢٧

٦٧ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٤٢٢

٦٨ سميح دغيم، المرجع السابق، ص. ١٧٩

٦٩ نفس المكان

ومن هذا البيان عرف الباحث، فإن الزمخشري رأى أن العقل لا يقدر أن يعرف في مسألة الألوهية والغيبيات مثل لا يقدر العقل تقسيم الأرزاق من الله، والموت، والغيبيات، والجنة والنار، والمستقبل. وموقف الباحث بهذا موافق بما رآه الزمخشري أن العقل لا يقدر أن يعرف مسألة الألوهية والغيبيات إلا قليلا.

#### د. فوائد العقل

فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته، وعظم الرسول العقل وقدس حرمة. ومجده الفلاسفة والحكماء والعلماء، فصرفوا جهودهم إلى إعلاء شأنه والبحث فيه ودعوا إليه وساروا بمقتضاه، وجعلوه الدليل والقائد والحكم.<sup>70</sup> بما يتعلق بفوائد العقل فقد بين الزمخشري في تفسيره **وَلَقَدْ**

**كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**

**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا.**<sup>71</sup> رأى الزمخشري هذه

الآية بأن في تكريم ابن آدم كرمه الله تعالى بالعقل والنطق والتميز الخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدير أمر المعاش والمعاد.<sup>72</sup>

وقال المراغي في تفسيره لقد كرمنا بني آدم بحسن التفكير في وسائل المعاش والتسلط على ما في الأرض وتسخير ما في العالم العلوي والسفلي، وحملناهم على الدواب والقطر والطائرات والمطلود (وأحدها منطاد) السفن،

٧٠ قدرى حافظ توقان، المرجع السابق، ص. ١٧.

٧١ سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

٧٢ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ٤٥٨.

ورزقناهم من الأغذية النباتية والحيوانية، وفضلناهم على كثير من الخلق بالغلبة والشرف والكرامة، فعليهم ألا يشكروا بربهم شيئاً، ويرفضوا ما هم عليه من عبادة غيره من الأصنام والأوثان.<sup>73</sup>

رأى الباحث على أن الله تعالى خلق بني آدم أكمل من المخلوقات الأخرى، لأن الإنسان كرمه الله تعالى بعقله وطق وتميز وصورة الحسنة، تدبير المعاش والمعاد. كذلك أن العقل بعض أساس الدين سوى النقل، وفيه منبع الحكمة. وإن في الآية حثاً للإنسان على الشكر، وألا يشرك بربه أحداً، لأنه سخر له ما في البر والبحر وكلاه بحسن رعايته.

بجانب ذلك أن فائدة العقل هي حفز الإنسان بتفكير النفس، وتفكير البيئة، وتفكير الآيات الكونية. كما ذكر القرآن الكريم أفمن

يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

أُولُو الْأَلْبَابِ.<sup>74</sup> قال الزمخشري في كتابه الكشاف يعني (أفمن يعلم)

لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أفمن أنزل إليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فييستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإيريز (إنما يتذكر أولو الألباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا.<sup>75</sup>

كان لتفهيم وتعريف عن شيء يحتاج بها التفكير وعملية العقل، كان فائدة العقل الأخرى وهي العقل يقدر أن ينظر العلاقة بين العلوم و

٧٣ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الجزء الخامس العشر، (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، ص. ٧٥-٧٦

٧٤ سورة الرعد، الآية: ١٩

٧٥ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٣٥٦

التقوى علاقة متينة. قال تبارك وتعالى: **وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِّ  
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**.<sup>76</sup> التفسير لتلك الآية المتقدمة من  
الزمخشري يعني المراد بالعلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما  
يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته، ومن  
ازداد به علما ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمناً.<sup>77</sup>  
هداية الله للناس بعضها هي هداية الأديان أو الشرائع، وهي هداية  
لمن استرقت الأهواء عقله، وسخر نفسه للذاته وشهواته، وسلك الشرور  
والآثام، وعدا على بني جنسه وحدث بينه وبينهم التجاذب والتدافع- فيها  
يحصل الرشاد إذا غلبت الأهواء العقول وتبين للناس الحدود والشرائع.<sup>78</sup>  
فيفيد العقل للدين الإسلامي لأجل تجنب من التقليد. قال الله تعالى **وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۗ  
أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**.<sup>79</sup>

فسر الزمخشري لما ذكر من الآية السابقة، إن النفس لأمرة  
بالسوء- لما كان الإنسان يطيعها فيطيعها ما اشتتهت (لهم) الضمير للناس  
وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم، لأنه لا ضالَّ

٧٦ سورة فاطر، الآية: ٢٨

٧٧ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص. ٣٠٧- ٣٠٨

٧٨ المراغي، المرجع السابق، الجزء ٤، ص. ٣٤

٧٩ سورة البقرة، الآية: ١٧٠

أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون. وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم، وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله- بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا- (وألو كان آباءنا) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد التعجيب معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب. لا بد من مضاف محذوف تقديره.<sup>80</sup>

الناس بعقولهم يعرف أن الله تعالى قادر يخلق العالم. قال الله تعالى في الكتاب الكريم. **أُولَٰمَ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**

**قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ**

**الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** ﴿٩٩﴾. <sup>81</sup> المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر

على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهم كما قال -ءأنتم أشد خلقا أم السماء- ( وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا. لو حقا أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها.<sup>82</sup>

وفوائد العقل من النقل عند الزمخشري يوجد في الآية **رُسُلًا**

**مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** <sup>ع</sup>

٨٠ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ٣٢٨

٨١ سورة الإسراء، الآية: ٩٩

٨٢ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص. ٤٦٧

وَكَانَ اللَّهُ حَكِيمًا عَزِيزًا.<sup>83</sup> فسر الزمخشري هذه الآية عن إبراهيم ويحي

بن وثاب أنهما قرآوا كلم الله بالنصب: ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه: جرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الأوجح أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير. وقال الزمخشري: كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل هم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها.<sup>84</sup>

الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما يرى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين، وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لو لا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له.<sup>85</sup>

فرآى الباحث بهذا البيان السابق، كان الزمخشري وضع معنى (حجة) طريقة العقل لا النقل الذي يلبس عليه النظر في أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعي بل هو الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقاة من العقل المحض والوجوب متلقى من النقل الصرفي. فأيضاً رأى الباحث برأي الزمخشري بأن الحق إرسال الرسل لا يحتاج إلا التعزيز والكمال ما يعرف الناس بعقله.

٨٣ سورة النساء، الآية: ١٦٥

٨٤ الزمخشري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٥٨٢.

٨٥ نفس المرجع، الجزء الأول، ص. ٥٨٣.

فموقف الباحث لا يوافق برأي الزمخشري بأن الدين وضع الله لا يستقل العقل بالوصول إليه ولا يعرف إلا بالوحي وهو موافق لسنن الفطرة في تزكية النفوس وإعدادها للحياة الأبدية في عالم القدس، ويترتب على العمل به أو تركه جزاء حدده الله في الدنيا والآخرة كما أخذ الباحث ما قاله المراغي في تفسير المراغي الجزء الأول، الصفحة ستة وثلاثين. وأيضاً وجد الباحث تلخيص فوائد العقل عند الزمخشري في تفسيره يعني أن العقل حفز الإنسان بتفكير النفس، وتفكير البيئة، وتفكير الآيات الكونية. العقل يقدر أن ينظر العلاقة بين العلوم والتقوى علاقة متينة. الناس بعقولهم يعرفون أن الله تعالى له قدرة على خلق العالم.

### الإختتام

إن العقل عند الزمخشري في تفسيره الكشاف هو ما ينظره الناس بعيون فهمهم ويعتبرون بالآيات التي خلقها الله وهي دلائل عظيمة القدرة وباهرة الحكمة. رأى الزمخشري أن العقل له قدرة على معرفة أربع مسائل كلامية كبرى وهي معرفة الله، ومعرفة وجوب الشكر إليه، ومعرفة الحسن والقبح، ومعرفة وجوب اعتناق الحسن واجتناب القبيح أو التحسين والتقبيح. وأما أعمال العقل عنده هي التدبير، والتفكير، والتذكر، والنظر، والفقهاء. ولكنه محصور مما يتعلق بالروح والساعة والجنة والنار والموت. فوائد العقل عند الزمخشري في تفسيره حفز الإنسان بتفكير النفس، وتفكير البيئة، وتفكير الآيات الكونية. والعقل يقدر على نظر العلاقة بين العلوم والتقوى علاقة متينة. الناس بعقولهم يعرفون أن الله تعالى قادر على خلق العالم الفيسيقي والغيبى.

منهجه في التفسير من التفسير التحليلي، لاستخدام الكشف عن معاني الآيات، والروايات من الصحابة والتابعين، ثم يأخذ الاستنباط بفكرته ونظريته رغم أنه لا يترك دليل النقل وبعض آراء قدماء الصحابة والتابعين. ومن هذا البحث يستنبط الباحث فإن الزمخشري من مذهب المعتزلة لأنه يقدم العقل على النقل ويستدل بالتأويل الكلامي ويستقل بالعقل.

### قائمة المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

إبن التيمية. ٢٠٠٥. كتاب الرد علي المنطقيين. بيروت-لبنان: مؤسسة الريان  
أبو زهرة. ١٩٥٨. إبن تيمية حياته وعصره- آراؤه وفقهه. بيروت: دار الفكر  
العربي

ابن منظور، العلامة. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. لسان العرب. المجلد السادس. القاهرة:  
دار الحديث

أبو سيرة، محمد عبد الهادي. أبو القاسم بن عمر أحمد الشنتاوي (eod). دون  
السنة. دائرة المعارف الإسلامية. الجزء العاشر. بيروت: دار الفكر

أبو طالب، مسموع أحمد. ١٩٩٤. المنهج الموضوعي في التفسير دراسة تطبيق.  
الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الطباعة المحمدية



البيضاوي، ناصر الدين بن سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي. دون السنة.  
أنوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. بيروت:  
دار الجيل

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. ١٩٨٥. كتاب التعريفات. بيروت: مكتبة  
لبنان

الجميلي، السيد. ١٩٩٢. الإعجاز العلمي في القرآن. بيروت-لبنان: دار ومكتبة  
الهلال

الحري، أحمد بن عوض الله بن داخل الهبي. دون السنة. الماتريديّة دراسة  
وتقويما. رياض: دار العاصمة

الداوودي، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد. دون السنة. طبقات  
المفسرين. الجزء الثاني. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية

الذهبي، محمد حسن. دون السنة. علم التفسير. دون المدينة: دار المعارف  
\_\_\_\_\_، ١٩٧٣. التفسير والمفسرون. الجزء الأول. بيروت-لبنان: شركة  
دار الأرقم بن أبي الأرقم

الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. ١٩٨٨م. مختار الصحاح.  
مكتبة لبنان: بيروت-لبنان

الرومي، فهد بن عبد الرحمن سليمان. ٢٠٠٢. دراسة في علوم القرآن الكريم.  
الرياض: مؤسسة فؤاد بعينو للتحديد

الزاوي، الطاهر أحمد. دون السنة. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ولسان البلاغية. الجزء الثالث. بيروت- لبنان: دار

الفكر

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. ١٤١٢هـ-١٩٩٢ م. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. الجزء الأول. بيروت-لبنان: جميع حقوق الطبع

والنشر محفوظة للناشر

\_\_\_\_\_، دون السنة. أطواق الذهب في المواعظ والخطب. القاهرة: دار  
الفضيلة

\_\_\_\_\_، ١٤٢٦هـ. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و  
عيون الأفاويل في وجوه التأويل. الجزء الأول. بيروت- لبنان: دار

الفكر

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ١٩٩٧. فتح القدير الجامع بين في الرواية  
والدراية من علم التفسير. الجزء الخامس. بيروت- لبنان: دار

المعرفة

الشهرستاني، محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. ١٩٦٧. الملل والنحل. الجزء  
الأول. بتحقيق محمد سيد كيلاني. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ١٩٨٨. معارج القدس في مدارج معرفة  
النفس. بيروت: دار الكتب العلمية

القرضاوي، يوسف. ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م. العقل والعلم في القرآن الكريم. القاهرة:  
مكتبة وهبة

القطان، مناع. ١٩٧٣. مباحث في علوم القرآن. رياض: منشورات العصر الحديث

المراغي، أحمد مصطفى. ٢٠٠٦. تفسير المراغي. الجزء الخامس العشر. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية

الأمعى، زاهر بن عوض ١٤٠٣. دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية

بدوي، عبد الرحمن. ١٩٩٧. مذاهب الإسلاميين. بيروت: دار العلم للملايين

توقان، قدر حافظ. ٢٠٠٢م. مقام العقل عند العرب. دار القدس: بيروت

حربي، محمد. ١٩٨٧. ابن تيمية موقفه من أهم الفرق والديانات في عصره. عالم الكتب: بيروت

دغيم، سميح. ١٩٩٢. فلسفة القدر عند المعتزلة. بيروت: دار الفكر للبنان

رضا، محمد رشيد. ٢٠٠٥. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، المجلد الأول. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية العلمية

زرکشي، أمل فتح الله. علم الكلام تاريخ المذاهب الإسلامية وقضاياها الكلامية. كونتور-فونوروكو-إندونيسيا: دار السلام للطباعة والنشر

صليبا، جميل. دوم السنة. المعجم الفلسفي. الجزء الثاني. مكتبة المدرسة: بيروت

عبد الجبار، القاضي. ٢٠٠١. شرح الأصول الخمسة. بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي

علي، عصام الدين محمد. دون السنة. صحوة العقل مع تاريخ المذاهب الفلسفية. الإسكندرية: منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية

مخلف، حسنين محمد. ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٥ م. تفسير و بيان كلمات القرآن الكريم و المعجم المفهرس لكلمات القرآن الكريم. دمشق: دار إبن كثير

Baidan, Nashruddin. 1998. *Metodologi Penafsiran Al-Qur'an*. Yogyakarta: Pustaka Pelajar

Ilyas, Hamim (ed). 2004. *Studi Kitab Tafsir*. Yogyakarta: Teras

Kuntjoroningrat. 1989. *Metode Penelitian Masyarakat*. Jakarta: Gramedia

Mahmud, Mani' Abd Halim. 2006. *Metodologi Kajian Komprehensif Metode Para Ahli Tafsir*. Jakarta: Rajawali Press

Nasution, Harun. 1986. *Teologi Islam Aliran-Aliran Sejarah Analisa Perbandingan*. Jakarta: UI-Press

Nasution, Harun. 2006. *Muhammad Abdub dan Teologi Mu'tazilah*. Jakarta: UI Press

Nasution, Harun. 1986. *Akal dan Wahyu dalam Islam*. Jakarta: Universitas Indonesia Press

Shihab, Muhammad Quraish. 2007. *Logika Agama Kedudukan Wahyu & Batas-Batas Akal dalam Islam*. Jakarta: Lentera Hati

Singarimbun, Masri. 1989. *Metode Penelitian Survey*. Jakarta: LP3ES

Sumhadi, M.Asalam. 1986. *Komposisi Desain Riset*. Jakarta: Lembaga Penelitian Universitas Trisakti

Surachmad, Winarto.1990. *Pengantar Penelitian Dasar dan Teknik*. Bandung: Tarisito

Syarif, M.M. (ed). Without Year. *A History of Muslim Philosophy*, Vol. I. Saddar: Karachi